كيف ندفع العقوبة القدريّة؟

(خطبة صلاة الإستسقاء للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم السّبت 21 من ذي الحجّة 1434هـــ الموافق لـــ 26 أكتوبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلّ ضلالةٍ في النّار،

معاشر الإخوة الكرام،

في هذه الصّبيحة المباركة، نتقرّب إلى الله تبارك وتعالى، بالتّوبة والخضوع والخشوع، والمسلم يحقّق العبوديّة بالتّقرّب إلى الله تعالى بالطّاعات واجتناب المعاصي، فإن ألّمت به شدّةٌ لجأ إلى الله جلّ جلاله، يطلب الغوث والإعانة وتفريج شدّته، فنحن اليوم نلجأ إلى الله تعالى طلبًا منه جلّ جلاله، ليسقينا من الغيث النّافع.

" **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ . . . ﴿107﴾** " **سورة يونس.**

" **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . . ﴿60﴾** " **سورة غافر.**

لكنّ سنن الله تعالى لا تجامل أحدًا ولا تحابي قومًا، فاسمعوا معي سنّة من سنن الله تعالى:

" **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿112﴾** " **سورة النّحل.**

في حين أنّ المولى تبارك وتعالى يخبرنا أنّ الأرزاق تفيض من السّماء والأرض لمن آمن واتّقى الله تعالى، قال تعالى:

" **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ 96 ﴾** " **سورة الأعراف.**

آمنت قلوبهم بما جاءهم به الرّسل وصدّقت به واتبعته، واتّقوا بفعل الطّاعات وترك المحرّمات،

(**لفتحنا عليهم بركاتٍ**) أي قطر السّماء ونبات الأرض.

ولقد أعطى الله تعالى مثل هذا الدّرس لبني إسرائيل ليكونوا لنا عبرةً، فقال سبحانه:

" **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ . . . ﴿ 66 ﴾** " **سورة المائدة.**

قال ابن عبّاس رضي الله عنه:

{ هو القرآن، (لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)، أي لو أنّهم عملوا بما في الكتب الّتي بأيديهم عن الأنبياء، وعلى ما هي عليه من غير تحريفٍ ولا تبديلٍ

ولا تغييرٍ، لَقَادَهُمْ ذلك إلى اتّباع الحقّ والعلم، بمقتضى ما بعث الله به محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم }.

(**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ**) يعني لأرسل السّماء عليهم مدرارًا،

(**وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**) يعني يُخْرِجُ من الأرض بركاتها،

أي أنّ الأرزاق تزيد، والخيرات تعمّ بقدر التزام النّاس بشرع الله تعالى.

واعلموا، إخوتي الكرام، أنّه لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما أصلح أوّلها، كما قال الإمام مالك رحمه الله.

وحينما قيل لإبراهيم ابن الأدهم رحمه الله:

(مابالنا نحبّ الحياة ونكره الموت؟)،

قال :

(لأنّكم عمّرتم دنياكم، وخرّبتم أخراكم، فتكرهون أن تنتقلوا من دار العمار إلى دار الخراب).

ثبت في مستدرك الحاكم بسندٍ صحيحٍ، ووافقه الذّهبيّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال:

{ أقبل علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال:

﴿ يا معشر المهاجرين!، خمسٌ إذا ابْتُلِيتُمْ بهنّ، وأعوذ بالله أن تُدْرِكُوهُنَّ:

1- لم تظهر الفاحشة في قومٍ قَطُّ حتّى يُعْلِنُوا بها، إلاّ فشا فيهم الطّاعون والأوجاع الّتي لم تكن مضت في أسلافهم.

2- ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلاّ أُخِذُوا بالسّنين وشدّة المؤونة، وجَوْرِ السّلطان عليهم.

3- ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلاّ مُنِعُوا القَطْرَ من السّماء، ولولا البهائم لم يُمْطَرُوا.

4- ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاّ سَلَّطَ الله عليهم عَدُوًّا من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم.

5- وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيّروا ممّا أنزل الله، إلاّ جعل بَأْسَهُمْ بينهم) ﴾.

فنرى من هذا الحديث، أنّنا إذا أردنا أن نتنعّم بصحّة الأجساد، ونتنعّم بالخيرات والبركات، وأن نعيش استقرارًا وأمنًا وأمانًا، فعلينا بعدم مخالفة أوامر الرّحمٰن.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،

إخوتي الكرام،

فَلْنُجَدِّدْ العهد مع المولى تبارك وتعالى، وليقف كلّ واحدٍ مِنَّا على زلاّته وأخطائه وعيوبه وتقصيره في حقّ الله جلّ وعلا، وتفريطه في حبّ هذا الدّين وخدمته، فإن استدركنا ما ينبغي استدراكه، فإنّ المولى تبارك وتعالى إن رَضِيَ عنّا، أسعدنا في دنيانا، وَفُزْنَا في آخرتنا.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهمّ اغفر لنا ذنوبنا،
اللّهمّ أَنْزِلْ علينا غيثًا طيّبًا،

اللّهمّ أَنْزِلْ علينا غيثًا طيّبًا،
اللّهمّ أَنْزِلْ علينا غيثًا طيّبًا،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.